وأنت تنفقه فيما لا يعينك والله لا أعطيك : فتركه حتى اجتمع القوم فى ناديهم وهو فيهم فشكاه إلى القوم وذمه فوثب إليه ابن عمه فلطمه فأنشأ يقول:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى الندى بسريع

حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما فى بيته بمضيع

فتأمل هذه الأبيات كلها واستقرها واحداً واحداً وانظر إلى موقعها فى نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ثم تلبث النفس عما تجد وألطف النظر فيما تحس به ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن تخرجه إلى لفظك وتوقفه فى سمعك فإنك تعلم أن الذى قلت كما قلت وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد.

التجاوب النفسى بين النصّ والقارىء :

واعلم أن للخبر المعرف بالألف واللام معنى غير ما ذكرت لك وله مسلك ثم دقيق ولمحه كالخلس يكون المتأمل عنده كما يقال يعرف وينكر وذلك قولك : هو البطل المحامى وهو المتقى المرتجى وأنت لا تقصد شيئاً مما تقدم فلست تشير إلى معنى قد علم المخاطب أنه كان ولم يعلم أنه ممن كان ... ولكنك تريد أن تقول لصاحبك : هل سمعت بالبطل المحامى ؟ وهل حصلت معنى هذه الصفة ؟ وكيف ينبغى أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فإن كنت قتلته علماً وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك ... ويزداد هذا المعنى ظهوراً بأن تكون الصفة التى تريد الإخبار بها عن المبتدأ مجراه على موصوف كقول ابن الرمى :

هو الرجل المشروك فى جل ماله ولكنه بالمجد والحمد مفرد

تقديره كأنه يقول للسامع : فكره فى رجل لا يتميز عفاته وجيرانه ومعارفه عنه فى ماله وأخذ ما شاءوا منه، فإذا حصلت صورته فى نفسك فاعلم أنه ذلك الرجل وهذا فنّ عجيب الشأن وله مكان من الفخامة والنبل وهو من سحر البيان الذى تقصر العبارة عن تأدية حقه والمعول فيه على مراجعة النفس واستقصاء التأمل.

الرجل مشغول بتفنيد كل شبهه وإزالتها :

واعلم أنه وإن كانت الصورة فى الذى أعدنا وأبدأنا فيه من أنه لا معنى